الغزل في شعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (ت□□ هـ)

م.د. يونس هلال منديل* و أ.م.د. عبدالله فتحي الظاهر**

تاريخ التقديم: □□/□/□□□□   تاريخ القبول: □□/□/□□□□

المقدمـــــة

للتطور الحضاري والإنساني الذي شهده عصر صدر الإسلام والدولة الأموية الأثر البعيد في حياة المجتمع عموماً والشعراء والناثرين بصفة أخص ولقد شهد العصر تطوراً كبيراً في ميادين الحياة بالموازنة مع عصر ما قبل الإسلام ولم يكن ذلك الا بفضل هذا الدين وحضارته التي أثرت في النفوس ولاسيما الأدباء شعراء وكتاباً، فتطورت موضوعات الشعر العربي وأغراضه لما يقتضيه العصر بتطوره الفكري والإنساني والاقتصادي فأمدتهم الحضارة الإسلامية فضلاً عما ورثوه من جزالة اللفظ وقوة المعنى وبراعة التصوير بتوخي المثال السامي والانفكاك من قيود المادية الضيقة إلى النظرة المتأملة في خلق الله جل جلاله وما وعوه من كتابه الكريم وأحاديث رسوله (ﷺ) مما ابعد اغلبهم عن الانزلاق في الغلو أو الإفراط أو الوهم ولقد كان للتوجه العربي الأصيل لهذا العصر أعني عصر بني أمية أثره البالغ في النهضة الثقافية والأدبية التي أنجبت عمالقة في ميادين الحضارة العربية والأدب ولا ننس ى دور الفقهاء وعلماء الدين في حث الناس على التمسك بالعروة الوثقى، وفي خضم ذلك كان يعيش الشاعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وهو أحد فقهاء المدينة والمعدودين في علية القوم وهو النسابة والشاعر الذي قال في الغزل ما أثار لدى الآخرين التساؤل ولدى آخرين الفضول... ولم يكونوا ليدركوا أنَّ للرجل قصة عاشها مع زوجه التي طلقها في غفلة من الزمن في بدء حياته وندم ولم يفد بعد ذلك عتبه... لذلك قال كل نفثات صدره فيها صادقاً ولذلك كان مقلاً لأنه

---

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

** قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

لم يكن ليقول إلا ما تحثه عليه آهات ظلت حبيسة صدره لولا هذه الأبيات ولقد رجعنا إلى المراجع والمصادر وبحثنا فأحصينا شعره الغزلي ودرسناه فلمسنا في شعره البساطة وعدم التكلف والغلو...

تعريف بالشاعر:

شاعرنا هو عبيدُ الله بن عبدِ الله بنِ عتبةَ بنِ مسعودٍ الهُذلِّي المدنيُّ الضريرُ. إمام فقيه تولى الإفتاء في المدينة المنورة وكان أحد فقهائها السبعة... ولد في النصف الثاني من العقد الهجري الثاني في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وتوفي سنة (98هـ). كان من سادات التابعين وممن يرجع إليهم في مسائل الأدب والأنساب وأيام الناس. اشتهر عنه أنه أحب زوجه حباً جماً ولم يبد عليه أو في شعره حبه إلا بعد أنْ اختلف معها في أمر ما أدى به إلى طلاقها طلاقا لا رجعة فيه فندم على فعلته ندامة الكسعي وظل عمره يقول فيها أشعاراً تَنُمُّ عن صدق عاطفة وتمكن في الصياغة واللغة بيد أنَّه لم يكن يطيل النفس بل عرف عنه أنَّه ذو مقطوعات وشهد بذلك ما أُثر عنه من شعره سجلناه من مظانه في بحثنا هذا... ولم نقرأ فيما قرأناه من شعره ذكراً لامرأة سوى زوجه عثمة(١).

اتسم شعر عبيد الله بالواقعية وبالبعد عن الخيال أو الإغراق فيه مع وضوح لبعض فنون البلاغة غير المتكلفة كالتشبيه والجناس والطباق وسواها. يقول واصفاً عمق حب عثمة زوجه في قلبه(٢):

تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مــــع الخافي يسير

ويرسم في أبيات صورة لقلبه الذي أنزرع فيه حب عثمة فراح ينبت حياة غير حياته. فهو كالأرض الموات التي غادرها القطر عمراً وظلت تنتظر

---

(١) سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي: 475/4 وينظر الأغاني، الاصبهاني: 162/9 و عبيد الله بن عبدالله الهذلي، حياته وشعره مجموعا محققا، د. عبدالله المولى، آداب الرافدين، ع/42.

(٢) الأغاني 176/9 وينظر أمالي المرتضى:400/1 وأمالي القالي: 217/3.

الغيث حتى أغدقت عليها السماء بماء قراح لتلتئم فطورها التي شبه جروح قلبه بها فتعشب فيكون الربيع بعد خريف دام طويلا... يقول:

شققت القلب ثم ذررت فيه هــواك فليم فالتام الفطور

ويعلن في القصيدة نفسها استسلامه لعثمة بعد أن أصابته بسهمين اخترقا شغاف قلبه ليقع بين يديها أسير حبها ويعلن خضوعه لإمرتها:

وأنفذ جارحاك سواد قلبي فأنت علي ما عشنا أمير

ويبدي في أبيات لوعته وحسرته على محبوبته التي فارقها إلى الأبد فيقول[١]:

ولو كنت في غل فبحت بلوعتي إليه للانت لي ورقت سلاسله

ويبدو عليه اليأس من العود الأحمد فليس له إلى ذلك سبيل وقد قضي الأمر يقول[٢]:

ألا من لنفس لا تموت فينقضي عناها ولا تحيا حياة لها طعم

فقد مر على الفراق عمر حتى أنّه حين زار دارها وجدها أقفرت فأوحشت فراح يذكر أيام كانا معا فيها، يقول[٣]:

عفت أطلال عثمة بالغميم فأضحت وهي موحشة الرسوم

ولي أنْ أذكر أنَّ الرجل لم يبخل علينا بذكر بعض فقهاء العصر فراح يشهد فقهاء المدينة السبعة على حبه عثمة صراحة.

وبعد ففي شعر الرجل صور ومعانٍ في قصائد ومقطعاتٍ فيها مع الغزل الام وحسرات وندم... ولم نجد صورة حسية واضحة لعل ذلك يعود إلى كونه ضريرا ينطق عن خيال يحسه بعاطفته لا بجوارحه المادية...

الغزل في الشعر العربي حتى عصر الشاعر:

للغزل ارتباط وثيق بالعاطفة الإنسانية التي شغلت الإنسان منذ أقدم العصور وما جرت بمجرى واحد وما انقطعت أصولها ومنابعها باختلاف الأمزجة والأنفس فقد " نزلت المرأة في نفس العربي منزلة رفيعة، فهي الأم

---

(١) الأغاني 176/9 وينظر أمالي المرتضى:400/1 وأمالي القالي: 217/3.

(٢) الأغاني 175/9.

(٣) م. ن.

والأخت والبنت و الحبيبة، وقد عني الشعراء بها عناية كبيرة فهي مصدر إلهامهم بذكرها تنشط القرائح وتهيج العواطف وتهتز النفوس " وللغزل خصوصية في الشعر العربي ميزته عن الأغراض الأخرى فهو قلما ينبعث عن تكلف لذلك اتسم بالصدق وبالصدق الفني مما يجعل المتلقي يحس صدق العاطفة ويشاركه فيها وهذا أمر عام في كل شعر صادق فهو لا يخص الشاعر لوحده إنما تعبير مشترك للعاطفة الإنسانية الخالدة وإنْ كانت هذه العاطفة الإنسانية واحدة ومشتركة ووجودها مغروس في النفس الإنسانية فمن الإجحاف التنكر للتطور الحضاري الذي أصاب حياة الإنسان بانتقاله في العصور العربية" ما قبل الإسلام، والعصر الإسلامي، والأموي " فالشاعر الجاهلي كان يسلط اغلب الإضاءة في شعره على " صفات حسية بصرية بالذات في أغلبها وبشكل أكثر صراحة ووضوحاً نقول إنَّ الشاعر يضرب صفحاً دون كل صفة تبتعد عن المظهر الخارجي للمرأة حتى أنَّه ليعمد إلى تثبيت هذا المظهر وتسكين كل حركة في الصورة حتى أنَّه ليصورها دمية أو صورة منقوشة أو أيقونة في محراب ويمضي في نقشها مفصلاً تصوير أعضائها من الشعر الفاحم صاعداً حتى الخلخال الصامت منحدراً، وبدون ربط هذا المنهج في التصوير بإطاره الطبيعي من العقيدة الدينية القديمة تظل التفسيرات عائمة ويضرب الباحثون في متاهات الحدس الذي لا يؤدي إلى شيء في نهاية الأمر"(١) لذلك غالبا ما نقرأ المرأة في الشعر الجاهلي موصوفة بصفات حسية فهي بيضاء مشربة بالصفرة وليست سوداء وهي باذنة القد وليست نحيلة وإذا ما نقصت الصورة واحتاجت خصالاً معنوية فهي نؤوم الضحى راقدة الصيف منعمة من سروات النساء وحديثها لذيذ وصوتها خفيض لا تفحش فيه ولا تنثر الأسرار في الحي وهي غير مقطوب(٢)...

---

(١) ينظر بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي، وهب رومية: 209/205.
(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف طبارة:165.

ولقد حد الإسلام الكثير مما لا يرضاه من فاحش القول والعمل وأمر بغض النظر والابتعاد عما يثير الفتنة في كل شيء، وقد حمل عصر الخلافة المفاهيم التي كانت على عهد رسول الله (ﷺ). في هذا المضمار والقول الحق أن الإسلام فعل بالشعر فعله بوجوه النشاط الإنساني فهو لم يهدم ولم يحرم هذه الوجوه بل وجهها في مسارت جديدة فوحد علم الجمال والأخلاق(١) ولم يهمل الإسلام الجانب المادي في حياة المسلم فقد " جمع بين الروح والمادة وهو ما تقبله الفطرة الإنسانية فالله لم يخلق للإنسان شهواته وقواه الطبيعية عبثا لإماتتها بالرياضة النفسية ولكنه خلق الإنسان على هذه الصورة من تنوع الغرائز ليتمكن من السيطرة عليها وتوجيهها إلى المثل العليا فالحالة الوسطى بين الروحية المتطرفة والمغالية أمر تستدعيه حياة المجتمع وليس فيما بين أيدينا من التعاليم ما هو حاصل على هذه الميزة غير الإسلام" (٢) ولا يمكن إغفال التطور الذي أحدثه الإسلام بحضارته الراقية كونه جاء بالدستور الإلهي إلى قيام الساعة وبما أنَّ الشعر في كل أُمة خاضع للتطور في النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وهي التي تحدد مجراه ومشاربه واتجاهاته وهي التي تفرض عليه ما شاءت من التغيرات فينتقل من طور إلى طور وتتبدل موضوعاته وصوره وألفاظه وأساليبه وبذا تظل مسيرة الشعر في ذلك الاتجاه الإيجابي قادرة على طرح المواقف بيسر وسهولة مما أدى بالشعراء إلى الإكثار من لغة التقرير والأخذ بالمنطق الوضوح وبساطة اللغة وهو ما نأى به عن منطقة الضعف الفني المزعوم. ليقودهم إلى منطقة أخرى قوامها الدقيق تلك الاستجابة الواعية الأمينة لواقع الحياة الجديدة. وكشف إيقاعها المتميز، وهو أمر دفع الشعراء دفعاً إلى عدم الاكتراث من التصوير، أو قصد الإيغال فيه، أو العمد إلى تكثيفه الا فيما ورد من قصائد محدودة انشدوها في فترات الاسترخاء من هول الحروب وزحام الغزوات. وما ظنها الا كانت قليلة على العصر منذ العصر الأول لحركة الجهاد الإسلامي(٣).

---

(١) أشكال الصراع في القصيدة العربية، عبدالله التطاوي: 25.

(٢) اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري، د. مصطفى هدارة: 23.

(٣) الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام، إحسان سركيس: 425.

والحقيقة أنَّ المجتمع العربي القديم تعرض لهزات عنيفة قوية منذ أنْ انبثق في ظلام جاهليته نور الإسلام فنقله من طور البداوة والوثنية التي كانت تحكم العاطفة وتغلب الهوى ولا تسخر من حياتها غير قوة البدن والسيف إلى طور الوجدانية والنظرة في الكون والتفكير في شؤون الدنيا والآخرة [١] ومع مجيء دولة بني أمية تغيرت أبعاد كثيرة من أوجه الحياة العربية ولو في مستواها الظاهر على الأقل وحينما كانت الأشعار وليدة الأحداث الطارئة فقد غلبت عليها المقطوعات وقلت المطولات، نشأ عن ذلك أنْ أهدرت أكثر التقاليد الفنية المرعية كالمقدمة ووصف الناقة والصحراء ومناظر الصيد.

ولئن غلبت على معاني الشعر الدقة والعمق والصقل وترتيب الأفكار وكثرة الحكم والأمثال والتمثلات الروحية والفكرية وتنوعت التشبيهات وبدت صيغة الجدة واضحة المعالم في العديد من المناحي والأغراض فقد واكبها الشكل وقد لازمته هزة الجديد فشرع بدوره يأخذ طريقه إلى التطور والتجديد وحيثما كانت الذات في مواجهة الحضارة أي في محاولة التخطي المأثور كاستعمال أوزان أكثر مرونة وتنوعاً واستعمال مفردات بسيطة ومباشرة مما يتيح التعبير عن إحساس يتوخى أنْ يكون حراً بلغة تلتمس البساطة المجردة من كل تكلف لفظي مسبغين على العبارة واقعية بعيدة عن الغلو والتشدق[٢].

الغزل بالزوجة:

لم يشع الغزل بالزوجة في أشعار ما قبل الإسلام، ولم يكن له ذكر في شعر عصر صدر الإسلام. غير إشارات في مقطعات لدن بعض الشعراء تؤكد ذكر الزوجات ولكن اغلبها لا يذكر الزوجة صراحة أي أنْ ذكرهن يأتي عن طريق أسماء مستعارة لما لهذا الأمر من حساسية رافقت أشعار ذلك العصر، ولا نعدم ذكر الزوجة مرثية في أشعارهم على قلة. ولم يكن شاعرنا بدعاً من الشعراء أو خلوا من المشاعر الصادقة بل كان ما أُثر عنه من شعر في عثمة

(١) م.ن.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: 3/7.

طليقته مفعماً بحس مرهف ومشاعر صادقة وهذا لا يتقاطع مع كونه فقيها بل مرجعاً في الفقه وعلوم الدين فضلاً عن كونه مؤدب عمر بن عبد العزيز الذي قال فيه ما يشهد له بعلو منزلته من ذلك ((والله اني لاشتري ليلة من ليالي عبيد الله بن عبد الله بألف دينار من بيت المال، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تقول هذا مع تحريك وشعرة نحفظك ؟ فقال: والله اني لأدعو براية وبنصيحته وبهدايته على بيت المال بألوف وألوف... إنَّ من المحادثة تلقيحا للعقل وترويحا للقلب وتسريحا للهم وتنقيحا للأدب...))(١).

غزل عبيد الله:

وإذا كان عصر صدر الإسلام يمثل امتداداً للعصر الجاهلي وكان شعر العصر امتدادا لأشعار ما قبله في ميدان البناء الفني خاصة فإنَّ عصر الأمويين قد شهد بعض الاختلافات الظاهرة نتيجة اختلاف الحياة التي تعكسها اللصوص الأدبية وتقدم صورتها الحية من خلال إبداع الشعراء والناثرين (٢) ولم يرث العصر الأموي الفترة الإسلامية السابقة وحدها ولم يكتف بما أسسه من حياة وشعر بل ورث أيضا وربما أولا العصر الجاهلي العريق بحياته وفنه وضم إلى هذين التيارين تياراً أجنبياً ثالثاً استمده من شعوب البلدان التي فتحها المسلمون (٣) فكان للحضارة التي اكسبها الإسلام حياتهم اثر بعيد الغور في نفس الشاعر فالهم خياله وأثرى معينه وتلونت بألوانها صوره فبدت ألفاظه أكثر شفافية واقتراباً من الحقيقة الإنسانية.

أحب الرجل زوجته (عثمة) وافترقا لأمر ما وندم – كما مر بنا – على طلاقه إياها فقال فيها أشعاراً تؤكد حباً خالصاً من ذلك قوله

تغلغل حب عثمة في فؤادي	**فبادية مع الخافي يســـير**
تغلغل حيث لم يبلغ شـــراب	**ولا حزن ولم يبلغ سرور**
صدعت القلب ثم ذررت فيه	**هواك فليم والتام الفطور**

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد: 5/ 250.
(٢) أدب صدر الإسلام مصطفى أبو شوارب: 144.
(٣) بنية القصيدة العربية: 325 وينظر الأدب في عصر النبوة والراشدين.

أكاد إذا ذكرت العهد منـــها   أطير لو ان إنساناً يطير
غني النفس أنْ أزداد حبـــاً   ولكني إلى صلة فقيـــر
وأنفذ جارحاك سواد قلبـــي   فأنت علي ما عشنا أمير

لقد سكن حب عثمة فؤاده وجرى مجرى دماه في جسده لذلك ظل ذكرها يتردد على لسانه وبقى متعلقا بها ومشدودا بحبها حتى مع كل معاناته النفسية فهي واحة غناء في حياته وإذا ما ذكرت أمامه وذكر عهده وأيامه الخوالي معها كانت الانتقالة إلى الحالة السامية والتخلص من قيد المادة. كما في قوله:

أكاد إذا ذكرت العهد منها   أطير لو ان إنساناً يطير

وصف الشاعر لحالته الشعورية وانطلاقه في الخيال الشعري وهو الخلاص إلى حياة كاملة في روحه وأيامه التي يعيش ساعاتها بذكرها فحين يقيم الطباق بين الغنى والفقر يجد نفسه غنية بما تملكه من حبها فقيرة إلى صلة معها ولقائها إياها

غني النفس ان ازداد حبا   ولكني إلى صلة فقير

ويعلن استسلامه لذلك الحب وانه وقع أسيراً له بعد أنْ تلقى طعنا مبرحاً من عيني المحبوبة فكان الخاسر في تلك الحرب فأعلن إمارتها عليه مادام حياً

وأنفذ جارحاك سواد قلبي   فأنت علي ما عشنا أمير

وقد أثرى العصر شاعرية الشاعر فأمده بمعين من المظاهر الحضارية والتأثر بالغزل العذري الذي ظهر إبان ذلك العصر فيشتكي كثرة البكاء بقوله:

فلو أكلت من نبت دمعي بهيمة   لهيج منها رحمة حين تأكله

للشاعر انتقالة في الخيال الشعري فدلالة على كثرة البكاء كثرة الدموع التي يجد فيها الشاعر أنَّها يمكن أنْ تروي أرضاً لتنبت نباتاً لو أكلت منه بهيمة لا تدرك أثراً فيها ولانتقل إليها الحزن والإشفاق والرحمة عليه.

فكان حبها قيداً نفسياً وعاطفياً أسره حتى إنَّه ليجد أنَّ القيود والأسر الحقيقي أكثر رحمة من هذا الوجد.

ولو كنت في غل فبحت بلوعتي   إليه للانت لي ورقت سلاسله

حتى الحديد والأغلال ترق له فتلين لشدة ما أثّر به فقدان الحبيبة وألم الفراق وفي أحيان أخرى يجد أنَّ قلبه السقيم بحبها هو السبب الحقيقي في كل معاناته وذلك لمعصيته رادع العقل فيظهر اللوعة ويشتكي منه ويطلب قلباً آخر يبدله بقلبه وذلك لا يكون. وفي ذلك الموت وقد يكون الشاعر رامياً إلى ذلك وقاصداً أنّه لن يترك حبها ولو هلك دونه.

ولما عصاني القلب أظهرت لوعة وقلت الا قلب بقلبي أبادله

كل أولئك كان لأنه كتم هواه بعد ان فارقها ولم يكن يعلم أنّه سيحن إليها... لقد لامه العاذلون والكاشحون ولامه الهوى كذلك وزاده بعدها وصدها حبا أضفى على حياته ألماً ولوعة وحسرات حتى هم بزيارتها ولكنه وجد في نفسه على نفسه ولم يزرها تأثما وفي قرارة نفسه كان يرى بعد أنْ أضرَّ به الهجر أنّه أكان آثما حين بقي عنها بعيداً هاجراً...

وهكذا وبعد فراقها من وجد الشاعر نفسه يعيش في مكان بين الحياة والموت فلا هو عاش عيشة الأحياء ولا قضى عليه الموت فاستراح فيقول:

الا من لنفس لا تموت فينقضي عناها ولا تحيا حياة لها طعم

فقد فارقته مسرات الحياة بفقدان من أحب ولا يخفى ما للشاعر من معرفة شرعية غير أنَّ أحاسيسه وما اعتراه من ألم إثر فراق (عثمة) جعله يرى الإثم بهجرانها.

أ أتترك إتيان الحبيب تأثما الا ان هجران الحبيب هو الإثم

ويوجه لنفسه اللوم والعتب الشديد على فعلته بترك الحبيبة فطعم المرارة كفيل بأنْ يرجعه إلى رشاده الذي كان يظنه بتركها فكذب زعمه

فذق هجرها قد كنت تزعم انه رشاد الا يا ربما كذب الزعم

وقد وظف الشاعر رموزا أخفى وراءها ما يكتم إلا أنّه لم يكن بمقدوره المطاولة في التخفي فانكشف رمزه وصرح عما في دواخله مع تسمية من أحب. ولربما وجد في هذه الرموز وقصتها حالة تحاكي ما عاشه وما شعر به فيقول:

غراب وضبي اعضب القرن ناديا بصرم وغدران العشي تصيح

اختار الشاعر هذه الصورة التي أشرك فيها الضبي والغراب وحملت معانيه وإحساساته الشعورية التي أراد تجسيدها فيها فالغراب يرمز لمعاناته من فراق

وانقطاع لحبل الوصل ووجد في محبوبته ضبياً غض القرن صغيراً لا يعرف بعد مشقات الحياة ومتاعبها صوحت غدران أرضه وجفت مياهها فما بقي سبب للبقاء، وبأسلوب الالتفات ينتقل من التلميح إلى التصريح بعد أنْ انفجر بركان الثورة النفسي في دواخله فيقول(١):

لعمري ان شطت بعثمة دارها لقد كدت من وشك الفراق اليح

وينتظر جواب لقسمة ما سيفعله وما سيفعله يوازي حال التفاتته الأولى بالرفض أو غيره إلا أنّه وبعقل سليم استطاع الإمساك بما فلت من فرط مشاعره وأعادها إلى قوامها الصحيح فيقول إنّه كاد يموت، ويصف حاله وذهابه بهم وعودته بآخر ومن يراه يراه سليماً وهو على غير ذلك فقد أثقلته كثرة الهموم:

أروح بهم ثم أغدو بمثله وتحسب اني بالثياب صحيح

ولكنه يعود فيؤكد بطلان زعمهم انه صحيح معافى فيقول:

فإن كنت أغدو في الثياب تجملا فقلبي من تحت الثياب جريح

وإذا كان الشاعر على فقه ومعرفته بعلوم الدين والشرع قد أثّر عليه حبه لعثمة فإننا نسمعه يقول شعراً يحاول فيه اشهاد فقهاء المدينة السبعة على حبه إياها بدل التخفي والابتعاد بالتصريح عن مثلهم فيقول(٢):

وحبـــك يا أم الصبي مد لهي شهيدي أبو بكر فنعم شهيد
ويعرف وجدي القاسم بن محمد وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفـــى سليمان علمه وخارجة يبدي لنـــا ويعيد
متى تسالي عما أقول وتخبري فلله عندي طارف وتلـــيد
فان كنت أغدو في الثياب تجملا فقلبي من تحت الثياب جريح

يقول سعيد بن المسيب:

"أما أنت والله قد آمنت أنْ تسألنا وما طمعت إنْ سألتنا أنْ نشهد لك بزور" وهو يجد في حبه حالاً نادراً لا يماثله أحد بمثله لا قريب ولا بعيد، وهذه المشاعر والأحاسيس لو شاركته محبوبته بها لجادت بالوصل ولم يصعب عليها.

---

(١) الأغاني: 173/9.
(٢) المنتظم في تاريخ الملوك.

احبك حبا لا يجـــــي بمثله قريب ولا في العاشقين بعيد
احبك حبا لو شعرت ببعضه لجدت ولم يصعب عليك شديد

بكى الشاعر الجاهلي الأطلال واستوقف عندها الصحاب في ذكرى الحبيبة الراحلة وانتقل هذا التقليد إلى عصر صدر الإسلام ثم الأموي من ذلك ما قاله شاعرنا على أطلال حبيبته عثمة التي ما فتي اسمها يتردد في شعره فقد أوحشت الديار بعد رحيلها وقد كانت انسة بها يقول:

عفت أطلال عثمة بالغميم فأضحت وهي موحشة الرسوم
وقد كنا نحيل بها وفيها هظيم الكشح جائلـــــــه البريم

فالديار عفت وأوحشت بعد رحيل المحبوبة عنها فكان عامل الرحيل هو سبب عفاء الديار فنسب الأطلال وبقايا الديار لعثمة ولم ينسبها إلى الأطلال فكانت عثمة هي سيدة الطلل وهي محور السكن والاطمئنان وحقيقته وبفراقها وانقطاع وصلها أوحشت الرسوم وخلت الأطلال وأوحشت ثم يسلط الضوء على هذه الأطلال الموحشة ويسترجع ذكرى الماضي عندما كان يسعد برؤية الأحبة ولقائهم بوجود عثمة على وجه الخصوص. فبعودته لم يعد في الطلل بحضوره أية حياة لفقده محبوبته وأضحت للأطلال وحشة كالتي في أعماق الشاعر من أثر الفراق...

وتنتهي حياة الرجل ولم تعد إليه عثمة ولم يصارحها جهاراً بندمه وبما خالجه بعد فراقها... رحم الله عبيد الله بن عبد الله ورضي عنه.

Courtship in Ubaidullah bin Abdullah bin Utbah Poetry

Dr. Younis H. Mandeel[*]

&

Asst. Prof. Dr. Abdullah F. Al-Dhahir[**]

Abstract

No notable change occurred on love poetry at the Ommiad era. Spouses feelings remained hidden to great extent. The poet remained unable to declare his wife's name even in elegy. Our poet, i.e. Ubaidullah bin Abdullah loved his wife Uthma and poetized a poem in her name. He then divorced her to regret that later on and long for her. She, however, refused remarrying him till her death. Mostly, all the poems he poetized about her were sections. Some of Ubaydullah contemporaries denounce his love poetry. For he was a jurist at the same time. He, however, did not care for that.

[*] Dept. of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.

[*] Dept. of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.